

وَإِنْ كَانَ الْمُخَاطَبُ مِمَّنْ يُنْكِرُ الصِّفَاتِ وَيُقَرُّ بِالْأَسْمَاءِ كَالْمُعْتَرِي الَّذِي يَقُولُ: إِنَّهُ حَيٌّ عَلِيمٌ قَدِيرٌ، وَيُنْكِرُ أَنْ يَتَّصِفَ بِالْحَيَاةِ وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ^[١].

قِيلَ لَهُ: لَا فَرْقَ بَيْنَ إِثْبَاتِ الْأَسْمَاءِ وَإِثْبَاتِ الصِّفَاتِ،

[١] وَإِنْ كَانَ الْمُخَاطَبُ مِمَّنْ يَنْكُرُ الصِّفَاتِ وَيُقَرُّ بِالْأَسْمَاءِ كَالْمُعْتَرِي الَّذِي يَقُولُ: إِنَّهُ حَيٌّ عَلِيمٌ قَدِيرٌ وَيُنْكِرُ أَنْ يَتَّصِفَ بِالذَّاتِ وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ: وَالْعَجِيبُ أَنَّ الْمُعْتَزِلَةَ يَصِفُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالْعُقْلَاءِ؛ لَكِنَّهُمْ إِلَى مَجَانِينِ الْمَجَانِينَ أَقْرَبُ، بَلْ إِنَّ بَعْضَ الْمُعْجَبِينَ بِهِمْ يَقُولُ: لَا يُوجَدُ مَنْ فَرَّقَ الْأُمَّةَ أَحَدًا أَقْوَى أَصْلًا مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ، الْمُعْتَرِي يُنْكِرُ الصِّفَاتِ فَلَا يُثَبِّتُ لِلَّهِ أَيَّ صِفَةٍ أَبَدًا لَا حَيَاةً وَلَا عِلْمًا... إلخ، فَهُوَ يُنْكِرُ كُلَّ الصِّفَاتِ، لَكِنْ يُقَرُّ بِالْعَكْسِ، وَيَقُولُ: اللَّهُ حَيٌّ لَكِنْ لَا حَيَاةَ، عَلِيمٌ لَكِنْ لَا عِلْمَ إلخ، وَهَذَا غَيْرُ مَتَصَوِّرٍ.

فَلَوْ فَرَضْنَا أَنَّ إِنْسَانًا غَائِرٌ بَطْنُهُ مِنَ الْجُوعِ وَرَابِطٌ عَلَى بَطْنِهِ الْأَحْجَارَ وَأَكْيَاسَ الرَّمْلِ ثُمَّ يَقُولُ: هَذَا شَبْعَانُ، لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ شَبْعَانُ بِلَا شَبْعٍ، كَذَلِكَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ قَدِيرًا بِلَا قُدْرَةٍ.

مِثَالُ: إِنْسَانٌ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَحْرِّكَ يَدَهُ، أَوْ يُمَكِّنُ بِالْمُعَالَجَةِ وَالتَّعَبِ الشَّدِيدِ أَنْ يُمَسِكَ بِالْقَلَمِ وَبِالْمُسَاعَدَةِ وَيَكْتُبُ: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)؛ فَنَقُولُ: هَذَا قَدِيرٌ بِلَا قُدْرَةٍ، فَلَا يَصْلَحُ، بَلْ هَذَا إِنْسَانٌ مَيِّتٌ، لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ حَيٌّ بِلَا حَيَاةٍ، قَدِيرٌ بِلَا قُدْرَةٍ، عَلِيمٌ بِلَا عِلْمٍ، سَمِيعٌ بِلَا سَمْعٍ، وَبَصِيرٌ بِلَا بَصَرٍ، فَهَذِهِ آرَاءُ الْمُعْتَزِلَةِ الَّذِينَ يَصِفُونَ أَنْفُسَهُمْ بِأَنَّهُمْ عُقْلَاءُ، لَكِنْ ظَاهِرُهُمْ لَا يُوَافِقُ الْعَقْلَ؛ بِدَلِيلِ هَذِهِ الْأُجُوبَةِ وَالْأَمْثَلَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا الْمُؤَلِّفُ.

فَإِنَّكَ إِنْ قُلْتَ: إِبْثَاتُ الْحَيَاةِ وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ يَقْتَضِي تَشْبِيهَا أَوْ تَجَسِّمًا لِأَنَّا لَا نَجِدُ فِي الشَّاهِدِ مُتَّصِفًا بِالصِّفَاتِ إِلَّا مَا هُوَ جِسْمٌ^[١].

قِيلَ لَكَ: وَلَا نَجِدُ فِي الشَّاهِدِ مَا هُوَ مُسَمَّى حَيٌّ عَلِيمٌ قَدِيرٌ إِلَّا مَا هُوَ جِسْمٌ، فَإِنْ نَفَيْتَ مَا نَفَيْتَ لِكَوْنِكَ لَمْ تَجِدْهُ فِي الشَّاهِدِ إِلَّا لِلْجِسْمِ فَانْفِ الْأَسْمَاءَ بَلْ وَكُلَّ شَيْءٍ لِأَنَّكَ لَا تَجِدْهُ فِي الشَّاهِدِ إِلَّا لِلْجِسْمِ^[٢].

[١] تقدّم أن عندنا جوابين من أهل الإثبات على الأشعري الذي يقول: أنا أثبت ما أثبتته بالعقل، والأشعري يثبت بعض الصفات وينفي بعضها، فيقول: أثبت ما أثبتته بدلالة العقل على ذلك، ونفيت ما نفيت لأن العقل لا يدل عليه.

[٢] فإذا كان المخاطب ممن ينكر الصفات ويقر بالأسماء كالمعتزلي كما يقول المؤلف رحمه الله: «إِنَّهُ حَيٌّ عَلِيمٌ قَدِيرٌ، وَيُنْكَرُ أَنْ يَتَّصِفَ بِالْحَيَاةِ وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ»، ويقول إن الله حيّ لكن ليس له حياة، قدير ليس له قدرة، عليم ليس له علم، نقول له: لا فرق بين إثبات الأسماء وإثبات الصفات.

إن زعمت أن إثبات الصفات يستلزم التمثيل لإثبات الأسماء يستلزم التمثيل، وإن لم يستلزم إثبات الصفات التمثيل فإن إثبات الأسماء لا يستلزم التمثيل.

عندما تقول: (عليم) فكلمة عليم اسم والعلم صفة، والقدرة صفة والقدير نفس القادر، وعلى كل حال الكلام غير معقول فلا يمكن أن يُسمى قدير إلا من له قدرة، فقول المعتزلي: إثبات الحياة أو العلم والقدرة يقتضي تشبيها أو تمثيلاً؛ فكذلك ما أثبت من الصفات يقتضي تشبيهاً، فلا نجد مثلاً متصفاً بصفة الحياة إلا من هو حيّ، ولا بصفة العلم إلا ما هو عالم، ولا بصفة القدرة إلا ما هو له جسم صحيح، فكل شيء متصف بصفة لا بد أن يصير عيناً قائمة.

فَكُلُّ مَا يَحْتَجُّ بِهِ مَنْ نَفَى الصِّفَاتِ يَحْتَجُّ بِهِ نَافِي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى؛ فَمَا كَانَ جَوَابًا لِذَلِكَ كَانَ جَوَابًا لِمُثْبِتِي الصِّفَاتِ ^[١].

وَإِنْ كَانَ الْمُخَاطَبُ مِنَ الْغُلَاةِ نِفَاةِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَقَالَ: لَا أَقُولُ: هُوَ مَوْجُودٌ وَلَا حَيٌّ وَلَا عَلِيمٌ وَلَا قَدِيرٌ؛ بَلْ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ لِمَخْلُوقَاتِهِ إِذْ هِيَ مَجَازٌ؛ لِأَنَّ إِثْبَاتَ ذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ بِالْمَوْجُودِ الْحَيِّ الْعَلِيمِ الْقَدِيرِ ^[٢].

قِيلَ لَهُ: كَذَلِكَ إِذَا قُلْتَ: لَيْسَ بِمَوْجُودٍ وَلَا حَيٌّ وَلَا عَلِيمٌ وَلَا قَدِيرٍ كَانَ ذَلِكَ تَشْبِيهًا بِالْمَعْدُومَاتِ وَذَلِكَ أَقْبَحُ مِنَ التَّشْبِيهِ بِالْمَوْجُودَاتِ ^[٣].

[١] فإذا كان إثباتُ حَيَاةٍ وَعِلْمٍ وَقُدْرَةٍ يَسْتَلْزِمُ جِسْمًا فَإِثْبَاتُ عَلِيمٍ وَقَدِيرٍ يَسْتَلْزِمُ جِسْمًا، فَإِنْ نَفَيْتَ مَا نَفَيْتَ لَكُونِكَ لَمْ تَجِدْهُ فِي الشَّاهِدِ إِلَّا لَجِسْمٍ فَانْفِ الْأَسْمَاءَ أَيْضًا؛ لِأَنَّا لَا نَجِدُ فِي الشَّاهِدِ مَسْمًى بِحَيٍّ وَعَلِيمٍ وَقَدِيرٍ إِلَّا مَا هُوَ جِسْمٌ أَيْضًا، فَكُلُّ مَا يَحْتَجُّ بِهِ مِنَ الصِّفَاتِ يُحْتَجُّ بِهِ فِي الْأَسْمَاءِ، فَمَا كَانَ جَوَابًا لِذَلِكَ كَانَ جَوَابًا فِي ذَلِكَ، فَمَنْ أَثْبَتَ الْأَسْمَاءَ لَزِمَهُ أَنْ يُثَبَّتَ الصِّفَاتُ فَإِنْ نَفَى الصِّفَاتِ وَأَقْرَبَ بِالْأَسْمَاءِ تَنَاقُضٌ.

[٢] قوله: «وَإِنْ كَانَ الْمُخَاطَبُ مِنَ الْغُلَاةِ نِفَاةِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَقَالَ: لَا أَقُولُ: هُوَ مَوْجُودٌ وَلَا حَيٌّ وَلَا عَلِيمٌ وَلَا قَدِيرٌ؛...» لِأَنِّي لَا أَشَاهِدُ شَيْئًا مَتَّصِفًا بِهَذَا إِلَّا مَا هُوَ جِسْمٌ، فَيَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أَنْكَرَهُ -هَذَا فَوْقَ الْمَعْتَزَلَةِ-، وَهَذَا فِي الْحَقِيقَةِ أَحْسَنُ مِنَ الْمُعْتَزَلِيِّ مِنْ وَجْهِ؛ لِأَنَّ الْمُعْتَزَلِيَّ تَنَاقُضٌ -يُثَبَّتُ شَيْئًا وَيَنْفِي نَظِيرَهُ- وَهَذَا الرَّجُلُ أَحْسَنُ مِنَ الْمَعْتَزَلِيَّ؛ لِأَنَّهُ طَرَدَ الْقَاعِدَةَ.

[٣] قوله: «قِيلَ لَهُ: كَذَلِكَ إِذَا قُلْتَ: لَيْسَ بِمَوْجُودٍ وَلَا حَيٌّ وَلَا عَلِيمٌ وَلَا قَدِيرٍ كَانَ ذَلِكَ تَشْبِيهًا بِالْمَعْدُومَاتِ...» فَإِذَا قُلْتَ: إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ حَيًّا شَبَهْتُهُ بِالْمَعْدُومَاتِ، وَلَيْسَ

فَإِنْ قَالَ: أَنَا أَنْفِي النَّفْيِ وَالْإِبْثَاتِ^[١].

قِيلَ لَهُ: فَيَلْزِمُكَ التَّشْبِيهُ بِمَا اجْتَمَعَ فِيهِ النَّقِیضَانِ مِنَ الْمُتَمَتِّعَاتِ فَإِنَّهُ يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ مَوْجُودًا مَعْدُومًا أَوْ لَا مَوْجُودًا وَلَا مَعْدُومًا وَيَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ يُوصَفُ ذَلِكَ بِاجْتِمَاعِ الوجودِ والعَدَمِ أَوْ الحَيَاةِ والمَوْتِ أَوْ العِلْمِ والجَهْلِ أَوْ يُوصَفُ بِنَفْيِ الوجودِ والعَدَمِ وَنَفْيِ الحَيَاةِ والمَوْتِ وَنَفْيِ العِلْمِ والجَهْلِ^[٢].

قَدِيرًا شَبَّهَهُ بِالْعَاجِزِ، وَلَيْسَ سَمِيعًا شَبَّهَهُ بِالْأَصَمِّ، وَالتَّشْبِيهُ بِالْمَعْدُومِ أَقْبَحُ مِنَ التَّشْبِيهِ بِالْمَوْجُودِ؛ لِأَنَّ الْمَوْجُودَ لَهُ كَيَانٌ وَلَهُ ذَاتٌ، لَكِنَّ الْمَعْدُومَ مَعْدُومٌ لَا يَقْبَلُ شَيْئًا، فَالَّذِي يَنْفِي الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ نَقُولُ لَهُ: إِذَنْ أَنْتَ شَبَّهْتَ رَبَّكَ بِالْمَعْدُومَاتِ وَتَشْبِيهَهُ بِالْمَعْدُومَاتِ أَقْبَحُ مِنْ تَشْبِيهِهِ بِالْمَوْجُودَاتِ.

[١] قوله: «فَإِنْ قَالَ: أَنَا أَنْفِي النَّفْيِ وَالْإِبْثَاتِ» فأقول: لَا مَوْجُودٌ وَلَا مَعْدُومٌ وَلَا حَيٌّ وَلَا مَيِّتٌ.

[٢] قِيلَ لَهُ: سَيَلْزِمُكَ التَّشْبِيهُ بِمَا اجْتَمَعَ فِيهِ النَّقِیضَانِ مِنَ الْمُتَمَتِّعَاتِ؛ لِأَنَّ الْجَمْعَ بَيْنَ النَّقِیضَيْنِ غَيْرُ مُمْكِنٍ فَلَا يُمَكِّنُ لَشَيْءٍ أَنْ يَكُونَ لَا مَوْجُودٌ وَلَا مَعْدُومٌ فَهُوَ إِمَّا مَوْجُودٌ أَوْ مَعْدُومٌ، فَإِذَا نَفَى الْإِبْثَاتِ وَنَفَى يَصِيرُ شَبَّهَهُ بِالْمُتَمَتِّعَاتِ.

فَإِنَّهُ يَلْزِمُهُ أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ مَوْجُودًا مَعْدُومًا وَلَا مَوْجُودًا وَلَا مَعْدُومًا فَإِنَّهُ يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ مَوْجُودًا مَعْدُومًا، الْأَوَّلُ الْإِبْثَاتِ، وَالثَّانِي لَا مَوْجُودًا وَلَا مَعْدُومًا النَّفْيِ، وَيَمْتَنِعُ أَنْ يُوصَفَ ذَلِكَ بِاجْتِمَاعِ الوجودِ والعَدَمِ أَوْ الحَيَاةِ والمَوْتِ... إلخ، أَوْ يُوصَفَ بِنَفْيِ الوجودِ والعَدَمِ وَنَفْيِ الحَيَاةِ والمَوْتِ... إلخ.

وَالْحَاصِلُ: أَنَّ الْجَمْعَ بَيْنَ النَّقِیضَيْنِ مُتَمَتِّعٌ، وَرَفَعَ النَّقِیضَيْنِ مُتَمَتِّعٌ أَيْضًا.

إِنَّمَا يَمْتَنِعُ نَفْيُ النَّقِیْضِیْنِ عَمَّا يَكُونُ قَابِلًا لَّهُمَا، وَهَذَانِ يَتَقَابَلَانِ تَقَابُلَ الْعَدَمِ وَالْمَلَكَةِ لَا تُقَابِلُ السَّلْبِ وَالْإِیْجَابِ^[١]، وَأَنَّ الْجِدَارَ لَا يُقَالُ لَهُ: أَعْمَى وَلَا بَصِيرٌ وَلَا حَيٌّ وَلَا مَيِّتٌ إِذْ لَيْسَ لَّهُمَا تَقَابُلٌ^[٢].

[١] فالجمعُ بينَ النَّقِیْضِیْنِ مُتَمَتِّعٌ، ورفع النَّقِیْضِیْنِ مُتَمَتِّعٌ، وهذا فيما إذا كانَ تَقَابُلُهُمَا تَقَابُلَ نَفْيٍ وَإِثْبَاتٍ فَإِنَّهُمَا لَا يَرْتَفِعَانِ وَلَا يَجْتَمِعَانِ، لَكِنْ إِذَا كَانَ تَقَابُلُ عَدَمٍ وَمَلَكَةٍ أَيْ: إِنَّ الشَّيْءَ يَقْبَلُ هَذَا الْإِتِّصَافَ أَوْ لَا يَقْبَلُ فَإِنَّهُ يَجُوزُ رَفْعُهُمَا.

ويجوزُ رفعُ النَّقِیْضِیْنِ عَنْ مَا لَيْسَ تَقَابُلٌ لَّهُمَا، مِثَالُ: الْجِدَارُ يُمْكِنُ أَنْ تَقُولَ أَنَّهُ لَا عَالَمٌ وَلَا جَاهِلٌ، فَقَدْ سَلَبْتَ عَنْهُ النَّقِیْضِیْنِ مَعَ أَنَّ ارْتِفَاعَ النَّقِیْضِیْنِ لَا يَجُوزُ، لَكِنَّهُ أُمْكِنَ.

[٢] لِأَنَّ تَقَابُلَهُمَا بِالنَّسْبَةِ لِلْجِدَارِ تَقَابُلُ الْعَدَمِ وَالْمَلَكَةِ لَا تَقَابُلُ السَّلْبِ وَالْإِیْجَابِ أَيْ: أَنَّهُمَا مَعْدُومَانِ بِالنَّسْبَةِ لِلْجِدَارِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِقَابِلٍ لَّهُمَا، وَالْمَلَكَةُ بِمَعْنَى الْقَبُولِ أَيْ: لَيْسَ بِقَابِلٍ لَّهُمَا فَيَجُوزُ رَفْعُ النَّقِیْضِیْنِ عَنْ مَا لَيْسَ بِقَابِلٍ لَّهُمَا.

وَإِذَا قَالَ الْقَائِلُ: أَنَا أَقُولُ بِالنَّسْبَةِ لِلَّهِ: لَا مَوْجُودٌ وَلَا مَعْدُومٌ، وَلَا حَيٌّ وَلَا مَيِّتٌ، وَلَا عَالَمٌ وَلَا جَاهِلٌ. قُلْنَا لَهُ: إِنَّ نَفْيَ النَّقِیْضِیْنِ مُتَمَتِّعٌ عَقْلًا.

فَأَجَابْنَا بِقَوْلِهِ: إِنَّمَا يَمْتَنِعُ نَفْيُ النَّقِیْضِیْنِ عَنْ مَا كَانَ قَابِلًا لَّهُمَا، أَمَا إِذَا لَمْ يَكُنْ قَابِلًا لَّهُمَا فَإِنَّهُ يَصَحُّ أَنْ يَرْفَعَ عَنْهُ النَّقِیْضِیْنِ، كَالْجِدَارِ لَيْسَ قَابِلًا بِالْوَصْفِ بِالْجَهْلِ أَوْ بِالْعِلْمِ، فَيَجُوزُ أَنْ أَقُولَ: هَذَا الْجِدَارُ لَا عَالَمٌ وَلَا جَاهِلٌ، فَالَّذِي يَصِفُ اللَّهُ بِأَنَّهُ مَوْجُودٌ وَلَا مَوْجُودٌ، يَقُولُ: هَذَا مُتَمَتِّعٌ بِالنَّسْبَةِ لِمَا يَكُونُ قَابِلًا لَّهُمَا، وَأَنَا أَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ أَنْ يَوْصَفَ بِالْجَهْلِ وَبِالْعِلْمِ، وَبِالْحَيَاةِ وَبِالْمَوْتِ، لَيْسَ قَابِلًا لَهُمْ.

قِيلَ لَكَ -أَوَّلًا- هَذَا لَا يَصِحُّ فِي الوجودِ وَالْعَدَمِ فَإِنَّهُمَا مُتَقَابِلَانِ تَقَابُلِ السَّلْبِ وَالْإِجَابِ بِاتِّفَاقِ الْعُقَلَاءِ، فَيُلْزَمُ مِنْ رَفْعِ أَحَدِهِمَا ثُبُوتُ الْآخَرِ^(١).

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُهُ مِنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ وَالْعِلْمِ وَالْجَهْلِ: فَهَذَا اصطلاحٌ اصطَلَحَتْ عَلَيْهِ الْمُتَفَلِّسَةُ الْمَشَاوُونَ وَالِاصْطِلَاحَاتُ اللَّفْظِيَّةُ لَيْسَتْ دَلِيلًا عَلَى نَفْيِ الْحَقَائِقِ الْعَقْلِيَّةِ.

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا.....

[١] إذا كان الذي يقول: إِنَّ اللَّهَ لَا مَوْجُودٌ وَلَا مَعْدُومٌ لَا أَصِفُهُ بِالوجودِ وَلَا الْعَدَمِ، فَاَلْمَوْلُفُ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: لَا يُمْكِنُ أَنْ تَصِفَهُ بِالوجودِ وَلَا بِالْعَدَمِ؛ لِأَنَّ الوجودَ وَالْعَدَمَ نَقِيضَانِ لَا يَرْتَفِعَانِ بِالنَّسْبَةِ لِمَا يَكُونُ قَابِلًا لِهَمَا، أَمَّا اللَّهُ فَلَيْسَ قَابِلًا لِهَمَا.

فَشَيْخُ الْإِسْلَامِ يَقُولُ: الْجَوَابُ عَلَى هَذَا بِالنَّسْبَةِ لِلوجودِ وَالْعَدَمِ لَا يَصِحُّ؛ لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَابِلٌ لِلوجودِ وَالْعَدَمِ صَحِيحٌ، أَمَّا بِالنَّسْبَةِ لِلْعِلْمِ وَالْجَهْلِ فَلَيْسَ كُلُّ شَيْءٍ قَابِلًا لِلْعِلْمِ وَالْجَهْلِ لَكِنْ بِالنَّسْبَةِ لِلوجودِ وَالْعَدَمِ كُلُّ شَيْءٍ قَابِلٌ لِلوجودِ وَالْعَدَمِ، وَيُمْكِنُ أَنْ نَصِفَهُ بِأَنَّهُ مَوْجُودٌ، وَيُمْكِنُ أَنْ نَصِفَهُ بِأَنَّهُ مَعْدُومٌ.

إِذَنْ تَقَابُلُ الْعَدَمِ وَالوجودِ تَقَابُلُ سَلْبٍ وَإِجَابٍ، وَلَيْسَ تَقَابُلُ عَدَمٍ وَمَلَكَةٍ، وَالْمَلَكَةُ بِمَعْنَى الْقَبُولِ، وَالْعَدَمُ بِمَعْنَى عَدَمِ الْقَبُولِ، وَلِهَذَا يُسَمَّى يَوْصَفُ الرَّجُلُ بِأَنَّهُ مَخْلُوقٌ بِالْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ، وَهَذَا مَلَكَةٌ، فَالْمَلَكَةُ مَعْنَاهُ قَبُولُ الشَّيْءِ.

فَإِنَّهُمَا مُتَقَابِلَانِ تَقَابُلِ السَّلْبِ وَالْإِجَابِ بِاتِّفَاقِ الْعُقَلَاءِ فَيُلْزَمُ مِنْ رَفْعِ أَحَدِهِمَا ثُبُوتُ الْآخَرِ.

وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمُوتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ [النحل: ٢١=٢١]، فَسَمَّى
الْجَمَادَ مَيِّتًا وَهَذَا مَشْهُورٌ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ^[١].

[١] وصف الله الأصنام بأنها أموات غير أحياء، وهذه الأصنام متخذة من
الجماد، أشجار وأحجار ينحطونها ويعبدونها، وصفهم الله تعالى بأنها أموات، والمتفلسفة
يمنعون هذا الوصف، ويقولون: لا يمكن أن نقول للصنم الجماد إنه ميت وليس بحي،
بل نقول: لا حي ولا ميت، فنحن لا نأخذ باصطلاحهم، بل نأخذ بالحقائق العقلية
التي دل عليها الشرع، والله تعالى وصف هذه الأصنام بأنها أموات مع أنها غير قابلة
للحياة والموت، لكن لعدم جدواها صارت أمواتا.

[٢] وكان الوجه الأول أن نقول لهم: بالنسبة لنفي الوجود والعدم لا يمكن؛
لأن تقابل الوجود والعدم تقابل سلب وإيجاب، بمعنى: إن سلب أحدهما لزم ثبوت
الآخر، فهب أن الحياة والموت تقابلهما تقابل عدم وملكية، بمعنى: أن هذا الشيء
الذي به الحياة والموت ولا يملكهما لا يقبلهما، لكن هذا الاصطلاح بالنسبة إلى كون
الحياة والموت لا يقبلها إلا ما كان حاساً، هذا اصطلاح من اصطلاح المتفلسفة،
لا هي حقيقة عقلية، والحقيقة العقلية ما دل عليها القرآن، وهو أن الجماد يوصف
بأنه ميت غير حي.

ونقول: إذا كنت تقول: إنني أرفع النقيضين عن الله؛ لأنه غير قابل لهما، نقول
لك: ما لا يقبل ذلك أنقص من الذي يقبله إذا عدم فيه، فالذي لا يقبل هذا الشيء
وليس من شأنه - أن يكون متصفاً بهذا الشيء - هو أنقص مما يكون من شأنه الانصاف
به ولكنه لا يتصف به لعلّة.

وَقِيلَ لَكَ -ثَانِيًا- مَا لَا يَقْبَلُ الْإِنِّصَافَ بِالْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ وَالْعَمَى وَالْبَصَرِ
وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْمُتَقَابِلَاتِ أَنْقَضُ مِمَّا يَقْبَلُ ذَلِكَ^[١].

فَالْأَعْمَى الَّذِي يَقْبَلُ الْإِنِّصَافَ بِالْبَصَرِ، أَكْمَلُ مِنَ الْجَمَادِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ
وَاحِدًا مِنْهُمَا، فَأَنْتَ قَرَرْتَ مِنْ تَشْبِيهِهِ بِالْحَيَوَانَاتِ الْقَابِلَةِ لِصِفَاتِ الْكَمَالِ،

[١] فَالشَّيْءُ الَّذِي لَا يَصْلُحُ أَنْ نَقُولَ لَهُ: أَنْتَ لَا حَيٍّ وَلَا مَيِّتٍ، وَلَا أَعْمَى
وَلَا مُبْصِرٌ، وَلَا أَصَمٌّ وَلَا سَمِيعٌ، وَلَا عَالِمٌ وَلَا جَاهِلٌ، أَنْقَضُ مِنَ الَّذِي يَصَحُّ أَنْ نَقُولَ
فِيهِ ذَلِكَ، فَأَنْتَ شَبَّهْتَ اللَّهَ بِمَا هُوَ أَنْقَضُ؛ لِأَنَّ الَّذِي لَا يَقْبَلُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ أَنْقَضُ
مِنَ الَّذِي يُمْكِنُ أَنْ يَقْبَلَ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ، فَأَنْتَ قَرَرْتَ مِنْ تَشْبِيهِهِ بِالْحَيَوَانَاتِ الْقَابِلَةِ
لِصِفَاتِ الْكَمَالِ، وَوَصَفْتَهُ بِصِفَاتِ الْجَمَادَاتِ الَّتِي لَا تَقْبَلُ ذَلِكَ، أَي: مَا يَخَالِفُ
الْجَمَادَاتِ، نَقُولُ: شَبَّهْتَ اللَّهَ بِالْجَمَادِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ أَنْ يَكُونَ بَصِيرًا، وَقَرَرْتَ مِنْ
تَشْبِيهِهِ بِالْأَعْمَى الَّذِي يَقْبَلُ أَنْ يَكُونَ بَصِيرًا؛ لِأَنَّ الْحَيَوَانَاتِ الَّذِي يَقْبَلُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ
خَيْرٌ وَأَكْمَلُ مِنَ جَمَادٍ لَا يَقْبَلُ الْبَصَرَ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَّصِفَ بِالْبَصَرِ، وَلَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ
وَلَا حَقِيقَتِهِ أَنْ يَكُونَ مُتَّصِفًا بِالْبَصَرِ.

فَتَبَيَّنَ أَنَّهُ كَلَّمَافِرٌّ -ذَلِكَ الْمَعْطَلُ- إِلَى شَيْءٍ وَجَدَهُ مُسْدُودًا.

فَالْحَاصِلُ: أَنَّنَا نَقُولُ لِهَذَا الرَّجُلِ: إِذَا قُلْتَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ،
وَلَا الْعِلْمَ وَالْجَهْلَ، وَلَا الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ؛ فَرَارًا مِنْ تَشْبِيهِهِ بِالْمَوْجُودَاتِ الَّتِي تَتَّصِفُ
بِهَا، قُلْنَا لَكَ: أَنْتَ شَبَّهْتَ بِالَّذِي لَا يَقْبَلُ هَذَا الشَّيْءَ إِطْلَاقًا، وَالَّذِي لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ
يَسْمَعَ وَيَبْصَرَ وَلَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَعْلَمَ، وَتَشْبِيهُكَ إِيَّاهُ بِهَذَا أَشَدُّ تَنْقِيصًا مِنْ تَشْبِيهِهِ
بِجَمَادٍ أَوْ بِجِسْمٍ يَفْنَى وَيُبْصَرُ وَيَقْبَلُ ذَلِكَ.

وَوَصَفَتْهُ بِصَفَاتِ الْجَامِدَاتِ الَّتِي لَا تَقْبَلُ ذَلِكَ^[١].

[١] تَقَدَّمَ أَنَّ جَوَابَنَا لِلْغَلَاةِ مُنْكَرِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ: أَنْتُمْ رَفَعْتُمُ النَّقِیْضِينَ، وَرَفَعُ النَّقِیْضِينَ مُمْتَنِعٌ غَايَةَ الْامْتِنَاعِ، كَمَا أَنَّ اجْتِمَاعَ النَّقِیْضِينَ مُمْتَنِعٌ، فَشَبَّهْتُمُ اللَّهَ وَاجِبَ الْوُجُودِ لَا بِالْمَعْدُومِ، بَلْ بِالْمُمْتَنِعِ غَايَةَ الْامْتِنَاعِ.

فَإِذَا قَالُوا: هَذَا الَّذِي قُلْتُمْ مِنْ رَفَعِ النَّقِیْضِينَ أَوْ سَلْبِ النَّقِیْضِينَ إِنَّمَا يَكُونُ فِيمَا يَقْبَلُ ذَلِكَ الشَّيْءَ، أَمَّا مَا لَا يَقْبَلُ النَّقِیْضِينَ فَإِنَّهُ يَجُوزُ سَلْبُهُمَا عَنْهُ؛ لِأَنَّ الْوُجُودَ عَدَمُ الْمَلَكَةِ، هُمْ يَقُولُونَ: سَلْبُ النَّقِیْضِينَ مُمْتَنِعٌ عَمَّا يَكُونُ قَابِلًا لَهَا، أَمَّا مَا لَا يَكُونُ قَابِلًا لَهَا فَإِنَّ سَلْبَهُمَا عَنْهُ لَيْسَ بِمُمْتَنِعٍ.

وَنَقُولُ: هَبْ أَنَّ الْعِلْمَ وَالْجَهْلَ وَالْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ إِنَّمَا يَجْتَمِعُ سَلْبُهُمَا عَمَّا يَكُونُ قَابِلًا لَهَا، وَأَمَّا سَلْبُهُمَا عَنْ مَا لَا يَكُونُ قَابِلًا فَهُوَ مُمْكِنٌ، أَيْ: إِنَّ وَافَقَانَهُمَا عَلَى ذَلِكَ وَقُلْنَا: إِنَّ تَقَابُلَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتَ وَالْعِلْمِ وَالْجَهْلِ مِنْ بَابِ تَقَابُلِ الْعَدَمِ وَالْمَلَكَةِ، لَكِنَّ الْوُجُودَ وَالْعَدَمَ تَقَابُلُهُمَا تَقَابُلُ سَلْبٍ وَإِيجَابٍ بِاتِّفَاقِ الْعُقْلَاءِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، أَيْ: حَتَّى الَّذِي لَا يَقْبَلُ الْحَيَاةَ أَوْ السَّمْعَ أَوْ الْعِلْمَ لَا بُدَّ أَنْ يَقْبَلُ الْوُجُودَ أَوْ الْعَدَمَ، فَأَنْتُمْ تَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ لَا نَصِفُهُ، فَلَا يَكُونُ مَوْجُودًا وَلَا مَعْدُومًا، فَقَدْ سَلَبْتُمْ عَنْهُ النَّقِیْضِينَ الْمُتَقَابِلِينَ تَقَابُلِ السَّلْبِ وَالْإِيجَابِ، وَهَذَا لَا يُمْكِنُ.

وَأَيْضًا: أَنْ نَقُولَ إِذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ مَثَلًا وَلَا ضِدَّهُمَا، فَهَذَا أَقْبَحُ مِمَّا يَقْبَلُهُمَا؛ لِأَنَّكُمْ وَصَفْتُمُوهُ بِمَا لَا يَقْبَلُ الصِّفَاتِ الْكَامِلَةَ، فَجَبَّيْهِمْ بِثَلَاثَةِ أَجَوِبَةٍ:

أَوَّلًا: إِنَّ الْعِلْمَ وَالْجَهْلَ لَا يُمْتَنِعُ سَلْبُهُمَا عَمَّا كَانَ قَابِلًا لَهَا، وَلَكِنْ أَنْتُمْ سَلَبْتُمْ الْوُجُودَ وَالْعَدَمَ عَنِ اللَّهِ؛ فَقُلْتُمْ: لَا مَوْجُودٌ وَلَا مَعْدُومٌ، وَهَذَا شَيْءٌ مُمْتَنِعٌ؛ لِأَنَّ تَقَابُلَ

وَأَيْضًا فَمَا لَا يَقْبَلُ الْوُجُودَ وَالْعَدَمَ، أَعْظَمُ امْتِنَاعًا مِنَ الْقَابِلِ لِلْوُجُودِ
وَالْعَدَمِ^[١]، بَلْ وَمِنْ اجْتِنَاعِ الْوُجُودِ وَالْعَدَمِ، وَنَفْيِهِمَا جَمِيعًا.

الوجود والعَدَمُ تقابل سلب وإيجاب، أي: أنه إذا سلب أحدهما لزم وجود الآخر،
وهذا معنى السلب والإيجاب.

فإذن: أنتم وصفتم الله تعالى بشيء مُتَنَعٍ؛ لأنَّ كونه لا موجود ولا معدوم لا
يصلح، لا في الذي يقبل، ولا في الذي لا يقبل.

الشيء الثاني: أن قولكم: إنَّ تقابل الحياة والموت من جهة العَدَمِ والملَكَةِ هذا
اصطلاح فلسفي ليس حقيقياً، بدليل أن الله سبحانه وتعالى وصف الجهاد بالحياة
والموت، فقال: ﴿أَمُوتُ غَيْرُ أَحْيَاوُ﴾ [النحل: ٢١].

الشيء الثالث: أنكم إذا قلتم: إنه لا يمكن أن تكون ذات الله قابلة لهذا الشيء؛
فقد شبهتموها بما هو أقبح مما يمكن أن يقبل الكمال؛ لأنَّ الرَّجُلَ الْأَعْمَى الَّذِي لَا يُبْصِرُ
خَيْرٌ مِنَ الْجِدَارِ الَّذِي لَا يُمْكِنُ أَنْ يُوصَفَ بَعْمَى وَلَا بَصِيرٌ، لأنَّ الرَّجُلَ الْأَعْمَى قَابِلٌ
لأنَّ يكون بصيراً ويتَّصف بصفات الكمال، والجدار ليس قابلاً أن يكون بصيراً
فيتَّصف بصفات الكمال، فأنتم شبهتم الله بما هو أنقص حين زعمتم أن الصفات غير
قابلة أن يتَّصف الله بها إطلاقاً.

[١] «فَمَا لَا يَقْبَلُ الْوُجُودَ وَالْعَدَمَ، أَعْظَمُ امْتِنَاعًا مِنَ الْقَابِلِ لِلْوُجُودِ وَالْعَدَمِ»:
فيه شيء من الإشكال والنظر، لا يوجد شيء لا يقبل الوجود والعَدَمَ، لكن هذا على
فرض أن يقدر هؤلاء ذهنًا بأن شيئاً يوجد لا يقبل الوجود والعَدَمَ، وإلا فما من شيء
إلا ويقبل الوجود والعَدَمَ، سواء كان عيناً أم صفةً.

فَمَا نَفَيْتَ عَنْهُ قَبُولَ الْوُجُودِ وَالْعَدَمِ كَانَ أَعْظَمَ امْتِنَاعًا مِمَّا نَفَيْتَ عَنْهُ الْوُجُودَ
وَالْعَدَمَ^[١]،

[١] قول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: «أَعْظَمُ امْتِنَاعًا مِنَ الْقَابِلِ لِلْوُجُودِ وَالْعَدَمِ» أي:
إنكم إذا قلتم: إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَقْبَلُ أَنْ يُقَالَ مَوْجُودٌ وَلَا يَقْبَلُ أَنْ يُقَالَ مَعْدُومٌ:
أَعْظَمُ امْتِنَاعًا مِنْ أَنْ يَكُونَ قَابِلًا لِهَمَا وَلَكِنَّهُمَا لَمْ يَجْتَمِعَا، فَهُوَ أَعْظَمُ امْتِنَاعًا؛ لِأَنَّ مَا
لَا يَقْبَلُ أَمْرٌ غَيْرَ مُمْكِنٍ لَا يَفْرِضُهُ إِلَّا الذَّهْنُ، بَلْ وَمِنْ اجْتِمَاعِ الْوُجُودِ وَالْعَدَمِ، فَالَّذِي
لَا يَقْبَلُ الْوُجُودَ وَالْعَدَمَ أَعْظَمُ امْتِنَاعًا مِنْ شَيْءٍ نَقُولُ: إِنَّهُ مَوْجُودٌ مَعْدُومٌ فِي آنٍ
وَاحِدٍ، وَلِهَذَا قَالَ: وَبِامْتِنَاعِ الْوُجُودِ وَالْعَدَمِ، وَذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ:

أولاً: شَيْءٌ لَا يَقْبَلُ الْوُجُودَ وَالْعَدَمَ وَهَذَا مُتَمَنِّعٌ بَلْ أَعْظَمُ امْتِنَاعًا.

ثانيًا: الَّذِي لَيْسَ مَوْجُودًا وَلَا مَعْدُومًا.

ثالثًا: أَنْ نَقُولَ يَقْبَلُ الْوُجُودَ وَالْعَدَمَ وَأَنَّهُ مَوْجُودٌ مَعْدُومٌ، فَهَذَا مُتَمَنِّعٌ أَيْضًا أَي:
مُتَمَنِّعٌ أَنْ نَقُولَ لَشَيْءٍ إِنَّهُ مَوْجُودٌ مَعْدُومٌ، لَكِنْ مَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ الصُّورَةَ الْأُولَى -وهي:
الَّذِي لَا يَقْبَلُ الْوُجُودَ وَالْعَدَمَ- أَعْظَمُ امْتِنَاعًا مِنْ هَاتَيْنِ الصُّورَتَيْنِ، مَعَ أَنَّ كُلَّ
الصُّورِ الثَّلَاثِ مُتَمَنِّعَةٌ، فَالْفَلَسَفَةُ يَقُولُونَ: إِنَّ اللهَ لَا مَوْجُودٌ وَلَا مَعْدُومٌ، مَعْنَاهُ أَنَّهُ
يُمْكِنُ أَنْ يَوْجَدَ أَوْ يُعَدَمَ وَيَتَّصِفَ بِالْوُجُودِ وَالْعَدَمِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ، بَلْ
يَقُولُونَ: إِنَّهُ مُتَمَنِّعٌ أَنْ يَكُونَ مَوْجُودًا وَمَعْدُومًا، وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ أَنْ يُوصَفَ
بِالْوُجُودِ وَالْعَدَمِ، فَهُوَ لَا مَوْجُودٌ وَلَا مَعْدُومٌ، فَالصُّورُ ثَلَاثَةٌ:

الصُّورَةُ الْأُولَى: أَنْ نَقُولَ: هَذَا الشَّيْءُ غَيْرُ قَابِلٍ لِلْوُجُودِ وَالْعَدَمِ، أَوْ غَيْرُ قَابِلٍ
إِطْلَاقًا أَنْ يُوصَفَ بِوُجُودٍ أَوْ عَدَمٍ.

وَإِذَا كَانَ هَذَا مُتَمَتِّعًا فِي صَرَائِحِ الْعُقُولِ فَذَلِكَ أَعْظَمُ امْتِنَاعًا^(١١)؛ فَجَعَلَتِ الْوُجُودَ الْوَاجِبَ الَّذِي لَا يَقْبَلُ الْعَدَمَ هُوَ أَعْظَمُ الْمُتَمَتِّعَاتِ، وَهَذَا غَايَةُ التَّنَاقُضِ وَالْفَسَادِ^(١٢).

الصُّورَةُ الثَّانِيَّةُ: أَنْ نَقُولَ: قَابِلٌ لِلْوُجُودِ وَالْعَدَمِ، لَكِنْ لَا يُوصَفُ بِهِمَا، فَهَذَا الثَّانِي أَسْهَلُ؛ لِأَنَّ الْأَوَّلَ يَقُولُ: غَيْرُ قَابِلٍ، لَكِنْ هَذَا نَقُولُ: قَابِلٌ، إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ مَوْجُودًا وَلَا مَعْدُومًا.

الصُّورَةُ الثَّلَاثَةُ: أَنْ نَقُولَ: إِنَّهُ قَابِلٌ لِلْوُجُودِ وَالْعَدَمِ لَكِنَّهُ مَوْجُودٌ مَعْدُومٌ.

وَهَذِهِ الصُّورُ مُتَمَتِّعَةٌ، لَكِنْ بَعْضُهَا أَعْظَمُ امْتِنَاعًا مِنْ بَعْضٍ.

ولهذا قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَمَا نَفَيْتَ عَنْهُ قَبُولَ الْوُجُودِ وَالْعَدَمِ كَانَ أَعْظَمَ امْتِنَاعًا بِمَا نَفَيْتَ عَنْهُ الْوُجُودَ وَالْعَدَمَ، وَإِذَا كَانَ هَذَا مُتَمَتِّعًا فِي صَرَائِحِ الْعُقُولِ فَذَلِكَ أَعْظَمُ امْتِنَاعًا».

[١] الْأَوَّلَى أَنْ نَقُولَ: لَيْسَ قَابِلًا لِلْوُجُودِ وَالْعَدَمِ، لَيْسَ قَابِلًا نَفَى الْوُجُودِ وَالْعَدَمِ فَهُوَ مُتَمَتِّعٌ فِي الْعَقْلِ، أَي: أَنْ نَقُولَ عَنْ شَيْءٍ إِنَّهُ لَيْسَ مَوْجُودًا وَلَا مَعْدُومًا مُتَمَتِّعٌ عَقْلًا، إِذَا كَانَ هَذَا مُتَمَتِّعٌ عَقْلًا فَامْتِنَاعُ الْأَوَّلِ الَّذِي هُوَ عَدَمُ قَبُولِ الْوُصْفِ بِالْوُجُودِ وَالْعَدَمِ يَكُونُ أَشَدَّ امْتِنَاعًا، يَقُولُ: فَجَعَلَتِ الْوُجُودَ الْوَاجِبَ الَّذِي لَا يَقْبَلُ الْعَدَمَ هُوَ أَعْظَمُ الْمُتَمَتِّعَاتِ، وَهَذَا غَايَةُ التَّنَاقُضِ.

[٢] كَلَامُ الْمُؤَلِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ جَيِّدٌ وَوَاضِحٌ وَمَعْقُولٌ، وَهُوَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْفَلَسَفَةِ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَيْسَ حَيًّا وَلَا مَيِّتًا، وَلَيْسَ قَادِرًا وَلَا عَاجِزًا، وَلَيْسَ عَالِمًا وَلَا جَاهِلًا، وَلَيْسَ مَوْجُودًا وَلَا مَعْدُومًا؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ قَابِلًا أَنْ يُوصَفَ بِذَلِكَ، مِثْلَ مَا أَنَّ الْجِدَارَ لَيْسَ قَابِلًا أَنْ يُوصَفَ بِأَنَّهُ أَعْمَى أَوْ بَصِيرٌ، كَذَلِكَ اللَّهُ تَعَالَى لَيْسَ قَابِلًا أَنْ

وَهُؤُلَاءِ الْبَاطِنِيَّةُ مِنْهُمْ مَنْ يُصَرِّحُ بِرَفْعِ النَّقِیْضَيْنِ: الوجود والعدم؛ وَرَفَعَهُمَا كَجَمْعِهِمَا^[١].

وَمَنْ يَقُولُ: لَا أُثَبِّتُ وَاحِدًا مِنْهُمَا^[٢]،

يُوصَفَ بِأَنَّهُ مَوْجُودٌ أَوْ غَيْرُ مَوْجُودٍ.

فكلامهم هذا غير ممكن، وممتنع غاية الامتناع؛ لَأَنَّ سَلْبَ النَّقِیْضَيْنِ مُمْتَنَعٌ، واجتماع النَّقِیْضَيْنِ مُمْتَنَعٌ، وأعظم منه امتناعاً أَنْ نقولَ بِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ سَلْبُ النَّقِیْضَيْنِ وَلَا جَمْعُ النَّقِیْضَيْنِ.

مثال آخر: إِذَا قُلْنَا: غُلَامٌ عَالِمٌ، غُلَامٌ جَاهِلٌ، غُلَامٌ لَا عَالَمٌ وَلَا جَاهِلٌ، كَذَلِكَ: غُلَامٌ عَالِمٌ جَاهِلٌ، مثل أن نريد: هَذَا غُلَامٌ عَالِمٌ بِالشَّرْعِ جَاهِلٌ بِالْعَرَبِيَّةِ.

فإِذَا قُلْنَا: فَلَانٌ لَا يَقْبَلُ أَنْ يُوصَفَ بِالْجَهْلِ وَالْعِلْمِ فَهَذَا أَشَدُّ مِنَ الْأَوَّلِ؛ لَأَنَّ مَعْنَاهُ أَنَّكَ جَعَلْتَ الشَّيْءَ الْمُسْتَحِيلَ وَاجِبَ الْوُقُوعِ، وَجَعَلْتَ وَاجِبَ الْوُقُوعِ أَمْرًا مُسْتَحِيلًا، فَهؤُلَاءِ وَصَفُوا اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِأَمْرٍ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُوجَدَ، وَهُوَ أَعْظَمُ الْمُمْتَنَعَاتِ، وَهُوَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ بِالْوُجُودِ وَالْعَدَمِ.

[١] قَالَ: وَهُؤُلَاءِ الْبَاطِنِيَّةُ مِنْهُمْ مَنْ يُصَرِّحُ بِرَفْعِ النَّقِیْضَيْنِ الوجود والعدم، فيقول: لَا مَوْجُودٌ وَلَا مَعْدُومٌ، وَرَفَعَ النَّقِیْضَيْنِ كَجَمْعِهِمَا، أَي: إِذَا قُلْتَ: هُوَ لَا مَوْجُودٌ وَلَا مَعْدُومٌ، مِثْلُ قَوْلِكَ: هُوَ مَوْجُودٌ مَعْدُومٌ.

[٢] وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: لَا أُثَبِّتُ وَاحِدًا مِنْهُمَا، أَي: يَقُولُ: لَا أَقُولُ: لَا مَوْجُودٌ وَلَا مَعْدُومٌ، وَلَا أَقُولُ: مَوْجُودٌ مَعْدُومٌ، لَا يُثَبِّتُ هَذَا الْإِثْبَاتَ وَلَا ذَاكَ النَّفْيَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُصَرِّحُ بِرَفْعِ النَّقِیْضَيْنِ، فيقول مثلاً: لَا مَوْجُودٌ وَلَا مَعْدُومٌ.

وَامْتِنَاعُهُ عَنْ إِبْتَاتِ أَحَدِهِمَا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ لَا يَمْنَعُ تَحَقُّقَ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ^[١]، وَإِنَّمَا هُوَ كَجَهْلِ الْجَاهِلِ وَسُكُوتِ السَّاكِتِ الَّذِي لَا يُعْبَرُّ عَنِ الْحَقَائِقِ^[٢].

وَإِذَا كَانَ مَا لَا يَقْبَلُ الْوُجُودَ وَلَا الْعَدَمَ أَعْظَمَ امْتِنَاعًا مِمَّا يَقْدَرُ قَبُولُهُ لِهَـمَا مَعَ نَفْيِهِمَا عَنْهُ - فَمَا يَقْدَرُ لَا يَقْبَلُ الْحَيَاةَ وَلَا الْمَوْتَ وَلَا الْعِلْمَ وَلَا الْجَهْلَ وَلَا الْقُدْرَةَ -

ويقول المؤلف: «رفعهما كجَمْعِهما»، مثال جمعهما: هذا الشَّيْءُ مَوْجُودٌ مَعْدُومٌ، فهذا مُمْتَنِعٌ، ومنهم من يقول: لا أُثَبِتُ واحدًا منهما، ومن يقول: لا أُثَبِتُ واحدًا أي: لا أقول لا مَوْجُودٌ ولا مَعْدُومٌ، ولا أقول مَوْجُودٌ مَعْدُومٌ، بل أسكتُ ولا أقول شيئًا.

[١] قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَامْتِنَاعُهُ عَنْ إِبْتَاتِ أَحَدِهِمَا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ لَا يَمْنَعُ تَحَقُّقَ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ»، أي: كونه يَمْتَنِعُ أن يقول هذا أو هذا، لا يَلْزَمُ منه أن يكون نافيًا للجميع، وإنما هو كَجَهْلِ الْجَاهِلِ، وَسُكُوتِ السَّاكِتِ الَّذِي لَا يُعْبَرُّ عَنِ الْحَقَائِقِ.

[٢] فَمَثَلًا كونه يسكتُ يقول: ما أقول هذا ولا هذا، امْتِنَاعُهُ هل يَمْنَعُ تَحَقُّقَ واحدٍ منهما؟ لا، فهذا يكون جاهلاً، فيقول: لا أدري، أو مثل الإنسان السَّاكِتِ لكونه يقول بأمرٍ لا بُدَّ أن يقول به ما يَمْنَعُ. ولهذا قَالَ: لَا يُعْبَرُّ السَّاكِتُ عَنِ الْحَقَائِقِ، فَانْقَسَمَ الْبَاطِنِيَّةُ إِلَى قِسْمَيْنِ:

■ منهم مَنْ يُصَرِّحُ بِرَفْعِ النَّفِيزَيْنِ، وَيَقُولُ الْمَصْنِفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّ رَفْعَهُمَا كَجَمْعِهما بما أَنَّهُ مُمْتَنِعٌ.

■ ومنهم مَنْ يَقُولُ: أَنَا لَا أُثَبِتُ وَاحِدًا مِنْهُمَا، أي: لا أقول بِرَفْعِ النَّفِيزَيْنِ، وَلَا بِجَمْعِ النَّفِيزَيْنِ، فلا أقول لا مَوْجُودٌ ولا مَعْدُومٌ، ولا أقول مَوْجُودٌ مَعْدُومٌ.

وَلَا الْعَجْزَ وَلَا الْكَلَامَ وَلَا الْخَرَسَ وَلَا الْعَمَى وَلَا الْبَصَرَ وَلَا السَّمْعَ وَلَا الصَّمَمَ:
أَقْرَبُ إِلَى الْمَعْدُومِ الْمُتَنَعِ مِمَّا يُقَدَّرُ قَابِلًا لِهُمَا - مَعَ نَفْيِهِمَا عَنْهُ -^[١]، وَحِينَئِذٍ فَتَفِيهُمَا
مَعَ كَوْنِهِ قَابِلًا لِهُمَا أَقْرَبُ إِلَى الْوُجُودِ وَالْمُمْكِنِ^[٢]،

[١] لَأَنَّ الْوُجُودَ وَالْعَدَمَ - الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ - عِنْدَ الْفَلَاسِفَةِ غَيْرُ الْوُجُودِ وَالْعَدَمِ
عِنْدَ غَيْرِهِمْ؛ لِأَنَّهُ عِنْدَهُمُ الْحَيَاةُ وَالْمَوْتُ، لَا يوصَفُ بِهِمَا إِلَّا مَنْ كَانَ قَابِلًا، وَعِنْدَهُمْ
يَجُوزُ أَنْ تَرْفَعَ الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ عَنِ الْجِدَارِ مِثْلًا؛ لِأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ الْإِتِّصَافَ بِهِمَا بِخِلَافِ
الْوُجُودِ وَالْعَدَمِ، كَذَلِكَ الْعِلْمُ وَالْجَهْلُ بِالنِّسْبَةِ لِلَّهِ لَا يُمَكِّنُ ارْتِفَاعَهُمَا، لَكِنْ بِالنِّسْبَةِ لِمَا
لَا يَكُونُ قَابِلًا لِهُمَا يُمَكِّنُ ارْتِفَاعَهُمَا.

وَلَا الْقُدْرَةُ وَلَا الْعَجْزُ، مِثْلُهُ أَيْضًا هَذِهِ بِالنِّسْبَةِ لِلَّهِ لَا يُمَكِّنُ، لَكِنْ بِالنِّسْبَةِ لِمَا لَا
يَكُونُ قَابِلًا لِهُمَا يُمْكِنُ أَنْ تَقُولَ: الْجِدَارُ لَا عَادِلَ وَلَا قَادِرَ.

كَذَلِكَ أَيْضًا الْكَلَامُ وَالْخَرَسُ، هَذَا بِالنِّسْبَةِ لِمَا لَا يَكُونُ قَابِلًا؛ لِأَنَّ مَا لَا يَكُونُ
مُتَقَابِلًا تَقَابُلَ الْعَدَمِ وَالْمَلَكَةِ يُمْكِنُ أَنْ يَرْتَفِعَا، فَيُمْكِنُ أَنْ تَقُولَ: الْجِدَارُ لَا يَتَكَلَّمُ،
فَلَيْسَ بِأَخْرَسَ وَلَا مُتَكَلِّمٌ، لَكِنْ بِالنِّسْبَةِ لِلَّهِ لَا يُمَكِّنُ.

الْعَمَى وَالْبَصَرَ نَفْسُ الشَّيْءِ، السَّمْعُ وَالصَّمَمُ نَفْسُ الشَّيْءِ، فَاَلْمُؤَلَّفُ مَا أَعَادَ؛
لِأَنَّ كَلَامَهُ بِالْأَوَّلِ لِلْوُجُودِ وَالْعَدَمِ، وَالْوُجُودُ وَالْعَدَمُ مِنْ صِفَاتِ الْعُقْلَاءِ، فَلَا يُمْكِنُ
ارْتِفَاعُهُمَا وَلَا اجْتِمَاعُهُمَا بِاتِّفَاقِ الْعُقْلَاءِ، لَكِنَّ الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ وَالْعِلْمَ وَالْجَهْلَ يُمَكِّنُ أَنْ
يَأْتِيَ شَخْصٌ يَقُولُ: إِنَّ تَقَابُلَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ تَقَابُلَ عَدَمٍ وَمَلَكَةٍ، فَعَلَى هَذَا إِذَا كَانَ
تَقَابُلُهُمَا تَقَابُلَ عَدَمٍ وَمَلَكَةٍ يُمْكِنُ أَنْ يَرْتَفِعَا عَنْ مَا لَيْسَ بِقَابِلٍ لِهُمَا.

[٢] يَقُولُ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِذَا قُلْتَ إِنَّهُ غَيْرُ قَابِلٍ لِلصِّفَاتِ أَشَدَّ امْتِنَاعًا بِالنِّسْبَةِ

لِلَّهِ مِمَّا إِذَا قُلْتَ: إِنَّهُ قَابِلٌ لِلصِّفَتَيْنِ وَلَكِنْ يَرْتَفِعَانِ.

وَمَا جَازَ لِوَاجِبِ الوجودِ -قابلاً- وَجَبَ لَهُ^[١]؛ لِعَدَمِ تَوَقُّفِ صِفَاتِهِ عَلَى غَيْرِهِ^[٢]؛

والمعنى: أن نفي هذه الأشياء المتقابلة عن الموصوف مع كونه قابلاً لهما أقرب إلى الوجود والممكن من تقدير أنه ليس بقابل لهما؛ لأن كون الشيء ليس قابلاً للشيء أعظم امتناعاً من أن يكون قابلاً، ثم تنفي عنه، وترى هذا الكلام إنما هو في الوجود والعدم.

أما في الجهل والعلم والحياة والموت والسمع والصمم فهذه ليست الوجود والعدم؛ لأنه يوجد أشياء غير موصوفة بهذه الصفات؛ لأنها لا تملكها وليس من ملكتها أن تكون سميعة أو بصرية.

[١] قوله: «مَا جَازَ لِوَاجِبِ الوجودِ» إنه ليس شيء واجب الوجود إلا الله، إذا كان الشيء ممكناً وهو قابل له صار واجباً للقبول، ولهذا قال المؤلف: «وَجَبَ لَهُ» في شيء ممكن في حق الله من صفات الكمال يكون حينئذ واجباً له الحياة، إذا قلنا: إنها ممكنة في حق الخالق تكون واجبة السمع.

وإذا قلنا: إنه ممكن واجب وممكن، وعرفنا أن الفلاسفة وشبههم يقولون: إن السمع في حق الله غير ممكن؛ لأنهم يسلبون عنه الصفات، لكن قرر المؤلف أن هذا أمر ممكن، وإذا كان ممكناً وهو صفة كمال كان واجباً له.

[٢] قوله: «لِعَدَمِ تَوَقُّفِ صِفَاتِهِ عَلَى غَيْرِهِ»، المعنى: أن صفات الله عز وجل إذا كان قابلاً وهي كمال فإنها تتعين له؛ لأنه قال: «تَوَقُّفِ صِفَاتِهِ عَلَى غَيْرِهِ»، يعني: أن صفاته من لوازم ذاته، بخلاف غير الخالق فهو غير واجب الوجود، لذا فإن صفاته تتوقف على غيره، فالإنسان حي لكن من جعل الحياة فيه هو الله، إذن حياته حادثة متوقفة على